ملخص محاضرات صدر الإسلام

محاضرة رقم 01

- مصادر التاريخ الإسلامي-

تمهيد:

يقصد بالمصادر التاريخية كل الموارد التي يستقي منها الباحث مادته العلمية في كتاباته، وهي تنقسم إلى مصادر أولية وثانوية، فالأولية هي التي سيقت في التأليف عن الحادثة التاريخية على عكس الثانوية التي استقت مادتها من الأولية.

والتاريخ الإسلامي كغيره من بقية التواريخ حظي بالبحث والتأليف منذ وقت مبكر، فجاءت التآليف غزيرة غزر حوادثه التي شغلت رقعة جغرافية واسعة من العالم آنذاك، وانقسمت هذه التأليفات كما أشرنا إليه سابقا إلى مصادر أولية وثانوية تنوعت حسب المواضيع التي تطرقت إليها، ومن هذه المصادر نذكر:

01- القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم المصدر الأول والأوثق الذي اعتمده المسلمون في اقتناء المادة التاريخية، إذ حوى بين طياته العديد من الحوادث التاريخية سواء المتعلقة بالأزمان الغابرة التي سبقت ظهور الإسلام أو التي حدثت في أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأمثلة ذلك كثيرة، فنجده أرخ لبعض غزوات الرسول كغزوة بدر وحنين والأحزاب، إضافة إلى بعض الحوادث الأخرى التي حدثت على عهد الرسول فأوردها القرآن واضحة جلية لا جدال فيها.

02- السنة النبوية:

ومن المصادر التي اعتمدها المسلمون في كتابة التاريخ أيضا السنة النبوية، وهي كما نعلم قد حوت كل نشاطات الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أن بعث إلى الأمة إلى غاية وفاته، فاشتملت على أقواله التي جمعت في مؤلفات سميت بكتب الحديث النبوي، كما شملت أيضا سيرته ومغازيه، وقد جمعها المؤرخون فيما سمي بكتب السير والمغازي على غرار سيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي.

03- الكتب السماوية القديمة:

وهي الكتب المنزلة على الأنبياء قديما كالتوراة والزبور والإنجيل، وتعد هي أيضا من المصادر التاريخية المهمة في تدوين التاريخ، ذلك أن كثير من المؤرخين كان قد اعتمد عليها عند حديثه عن الأمم السابقة سواء المتعلقة بحوادث الزمن الذي أنزلت فيه أو في الزمن الذي سبقها، كما أن المفسرين اعتمدوها أيضا عند تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، بحيث لجأوا إليها في كثير من الأحيان للاستدلال أو لتوضيح المبهم من خلال إدراك الموافقات مع ما جاء به القرآن الكريم.

04- كتب التاريخ العام:

شملت هذه المؤلفات جل حوادث التاريخ الإسلامي بدءا بسيرة الرسول الله صل عليه وسلم وصولا إلى عصر المؤلف، وتنقسم هذه الكتب إلى عدة أقسام منها:

أ- كتب السير والمغازي:

وتتضمن مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ونشاطات صحابته من بعده، وقد تنبه المؤرخون الأوائل إلى ضرورة التأليف في هذا الميدان، فكتبوا عنها بإسهاب، ومن هؤلاء نذكر ابن هشام الذي ألف في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا سماه السيرة النبوية، والواقدي صاحب كتاب المغازي.

ب- كتب الحوليات:

عمل المؤرخون المسلمون الأوائل على كتابة التاريخ الإسلامي مرتبا حسب نظام السنوات وهو ما يعرف بنظام الحوليات، إذ يرتب فيه المؤرخ الحوادث التي جرت في السنة الواحدة عير كافة أنحاء الدولة الإسلامية، ومن هؤلاء نذكر الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك، وقبله كان أول من كتب في هذا الشأن الهيثم بن عدي الذي كتب كتابا سماه التاريخ على السنين، وهو في عداد المفقودين حاليا واستمرت هذه الطريقة في الكتابة إلى وقت متأخر، وازدهرت أكثر مع القرن 06 هـ/12م وما بعده.

ت- كتب التراجم والطبقات:

اهتم المؤرخون أيضا بالتأليف في التراجم بحيث عملوا على ترجمة الشخصيات التي كان لها دور بارز في التاريخ الإسلامي، وأشار أغلب من كتب في هذا الميدان إلى الرسول ومن تبعه من أصحابه ثم كبار

التابعين، وكذا الشخصيات السياسية كالملوك والسلاطين، ومن هؤلاء الذين ألفوا في هذا الميدان نذكر: شمس الدين الذهبي صاحب كتاب سير أعلام النبلاء، وابن الأثير في كتابه أسد الغابة، وابن العماد الحنبلي صاحب كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

ث- كتب الدول:

وهناك من المؤرخين من ألف في تواريخ الدول بحيث اهتم بكل دولة على حدى، ومثال ذلك كتاب أبي شامة المعنون بالروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وكتاب تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الأصفهاني...

4- كتب الجغرافيا:

وهي من مصادر التاريخ الإسلامي أيضا إذ اهتم الجغرافيون بكتابة حوادث كل إقليم يتناولونه بالدراسة ومن هؤلاء نذكر ياقوت الحموي الذي ألف كتابا بعنوان معجم البلدان، وابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض، والإدريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

5- كتب الفتاوى والنوازل:

الفتوى هي الإخبار بحكم شرعي لمن سأل عنه في أمر نازل.

ألّف المسلمون في هذا الباب الكثير من الكتب، ولذلك نعدها من مصادر التاريخ الإسلامي، لأنها تحوي الكثير من الحوادث التاريخية في طياتها، ومن هذه المؤلفات نذكر كتاب مجموع الفتاوى لأحمد ابن تيمية، حيث ذكر فيه الكثير من الحوادث التاريخية في سياق فتاويه.

أما النازلة فهي الحادثة الجديدة التي تحدث في مجتمع معين وتتطلب حلا يلجأ حينها أهل الاختصاص لاستعمال حلول ناجعة تكون في مصلحة الجميع دون الاضرار بأي شخص، وقد تكون هذه الحلول صادرة عن أطراف عديدة لها خبرة في جميع الميادين، وهي الأخرى ألف فيها المسلمون الكثير من الكتب، عُدّت كمصادر تاريخية اعتمدها المؤرخون، ومن هذه الكتب نذكر نوازل ابن الحاج التجيبي للقاضي الشهيد أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج التجيبي القرطبي، ونوازل الونشريسي التي ضمّنها في كتاب أسماه المعيار المعرب

محاضرة رقم 02

مكة والمدينة قبل البعثة

تمهيد:

تمتعت بلاد الحجاز باستقلال كلي لمدة طويلة من الزمن، وسبب ذلك هو طبيعة المنطقة الصحراوية، إذ لم يهتم بها المستعمرون القدامى من الروم والفرس الذين كانوا يهتمون بالمناطق الزراعية بشكل كبير، وهو ما لم يكن متوفرا في هذه المنطقة.

وقد ولدت هذه الاستقلالية عند العرب في الحجاز تفرقا في السلطة التي انتشرت بين القبائل، وكانت كل قبيلة تحكم نفسها بنفسها، ولا تخرج من حدودها، وكانت مكة والمدينة من ضمن ممتلكات هذه القبائل.

01- مكة قبل البعثة:

خضعت مكة لسلطان عدة قبائل بداية بقبيلة جرهم، الذين كانوا على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام، ثم خلفهم على ولاية البيت الحرام قبيلة خزاعة وبنو حارثة، واستمروا على ذلك ما يربو عن الثلاثة قرون، إلى أن انتزعتها منهم قريش، وظلت على سلطانها إلى أن بعث الرسول صلى الله عليه وسلم.

أ- الحياة الدينية في مكة قبل بعثة الرسول (ص)

غلبت الوثنية على المجتمع القرشي فقدست الأصنام، وكثرت أعدادها حتى يكاد يخلو بيت من وثن يعبد، وانتشرت الأصنام في البيت الحرام ذاته وفي باحاته، وكان كبار قريش يزورونها ويعبدونها، وفي نفس الوقت كانت الديانة اليهودية هي الأخرى منتشرة بين أوساط اليهود العرب، وهي ديانة محرفة، لكنها تبقى على أفضلية من الوثنية، كما انتشرت النصرانية كذلك لكنها لم كانت محدودة نوعا ما.

ب- الحياة الاجتماعية في مكة قبل بعثة الرسول (ص)

وعلى الصعيد الاجتماعي انتشرت بعض العادات السيئة كوأد البنات، والعبودية المفرطة، وأكل الربا ومال اليتيم والسرقة وقطع الطرق، وفي مقابل ذلك كانت هناك بعض العادات الحسنة التي عرف بها الإنسان

العربي، حيث شاع بين القبائل العربية الجود والكرم والإيثار، بحيث يقد الضيف على أهل البيت مهما ساءت ظروفهم، كما اشتهر بين العرب ظاهرة الشجاعة والفروسية وهما ظاهرتان شائعتان بين أغلب القبائل العربية، وسبب ذلك هو طبيعة المنطقة البدوية التي تتطلب الاعتماد على النفس لضمان العيش الكريم.

02- المدينة قبل الإسلام:

كانت تسمى يثرب قبل الإسلام وهي مدينة ضاربة في التاريخ، إذ تذكر المصادر أنها تعود إلى الألف الخامسة عشرة قبل الميلاد (15000 ق-م)، سكنتها قبائل عدة على غرار الأوس والخزرج العربيتين وبعض القبائل اليهودية كبيني قريظة وقينقاع وبني النظير.

عمل اليهود آنذاك على إثارة الفتن داخل الأوساط العربية فحدثت الفتن بين الأوس والخزرج واستمرت إلى مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث استطاع هذا الأخير أن يؤاخي بين الإخوة المتخاصمين وأصبحوا أنصارا له يستعين بهم على جهاد الكفار.

محاضرة رقم 03

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ورد فعل قريش

تمهيد:

شهدت منطقة الحجاز قبيل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم انحرافا اجتماعيا وأخلاقيا ودينيا انقلبت على إثره كل المعايير، وصار من الصعب تمييز الوضع، ولذا كان من الضروري أن تصطلح الأمور بالعودة إلى مكارم الأخلاق الضائعة، فابتعث الله نبيه لأجل هذه الغاية.

01- بعثة الرسول:

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في الأربعين من عمره إذ نزل عليه الملك جبريل عليه السلام وهو بغار حراء يوم الاثنين 17 رمضان وكان أول ما نزل عليه من الوحي قوله تعالى: ((ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ

مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥))[1]، فارتعب الرسول من ذلك الحدث، ونزل من فوره إلى داره وأخبر بذلك زوجته خديجة بنت خويلد فهدأت من روعه، ثم سارت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان يومها على دين النصرانية، فبشر هذا الأخير بأن محمدا هو نبي العرب المنتظر والمبشر به في كتاب الإنجيل.

ثم انقطع الوحي عن الرسول صلى الله عليه وسلم مدة من الزمن حتى فتر من ذلك وكاد ييأس، لينزل عليه الملك مرة أخرى ويخبره أنه رسول الله، وأنه المختار من الله سبحانه وتعالى، فعاد مرة أخرى مرتعبا إلى خديجة وهو يردد ((زملوني زملوني)) ((دثروني دثروني))، فنزل قوله تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥))[2]. ، وكان ذلك إيذانا ببدء نشر دعوته.

02- بدء الدعوة:

أ- الدعوة السرية:

بدأت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لدين الإسلام سرية في بادئ الأمر خوفا من الاضطهاد، وعدم تقبل الناس لهذا الأمر الجديد خصوصا وأن المجتمع القرشي آنذاك على وثنية مطلقة، ولا يمكن أن يرضوا بأي حديث يسفّه أفعالهم.

ولأجل ذلك بدأ النبي بنشر دعوته سرا فآمن به عدد قليل كزوجته وأبي بكر الصديق وبعضا من ضعاف الناس في مكة، واستمر على ذلك ثلاث سنين إلى أن نزل عليه الوحي يأمره بالجهر بالدعوة.

ب- الدعوة الجهرية

بدأت هذه الدعوة بعد نزول قوله تعالى: ((فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ))[3] ، ومن وقتها بدأ الرسول بنشر الدعوة جهرا وكان في بداية الأمر في أحياء قريش ثم خرج من قريش إلى الطائف ودعاهم إلى دين التوحيد لكن رد فعلهم كان عنيفا كما كان في قريش من قبل.

03- رد فعل قريش:

---

[1] سورة العلق

[2] سورة المدثر

[3] سورة الحجر، الآية 94.

جاء رد فعل قريش على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم لتوحيد الله عز وجل عنيفة إذ لم يتقبلوا هذا الأمر الجديد تماما ورأوا بأنه انقلابا خطيرا في الوضع الاجتماعي لقبيلتهم، ولذلك بدأوا في بداية الأمر بتكذيبه واتهامه أحيانا بفقدان عقله، وأحيان أخرى بالشاعر والساحر، كما طالبوه بالكف عن هذا الأمر.

لكن إصراره على المضي في دعوته ودخول بعض الناس في دينه، جعل كبار قريش يفقدون صوابهم، فبادروه بالعقاب هو وأتباعه وتعرض نتيجة لذلك لأشد أنواع العذاب وهو ما اضطره إلى الهجرة ناحية المدينة (يثرب)، وهناك استقبله الأنصار وبايعوه على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يحموه إذا جاء إليهم كما يحمون أهاليهم فخرج إليهم شهر ربيع الأول 13 للبعثة، واستقبلوه استقبالا حارا، ثم ابتنى مسجده هناك.

بعدها بقليل نزل الوحي يأمر رسول الله بجهاد الكفار، فخرج على رأس جيش في أول معركة انتهت بانتصاره في بدر.

محاضرة رقم 04

عنوان المحاضرة: أسس بناء الدولة الإسلامية

تمهيد:

كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب نقطة تحول في تاريخ الدعوة إذ لم يعد بإمكان الكفار أن يتخلصوا منها بل على العكس صارت الدعوة المحمدية تشكل خطرا عليهم أكثر من ذي قبل، وتأكد هذا الخطر بعد أن شرع في الجهاد الإسلامي، فحقق المسلمون على إثره انتصارات كثيرة، في منطقة الحجاز، وتوجت هذه الانتصارات في الأخير بفتح مكة سنة (08هـ/630م)، ليعلن بذلك التأسيس الرسمي لدولة الإسلام.

01- أسس بناء دول الرسول

أ- الأسس الدينية والسياسية:

أول ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند نزوله بالمدينة، هو بناء المسجد وهو مكان الصلاة حيث اختار له مكانا يتوسط المدينة حتى يكون على مسافة متقاربة من جميع السكان، وفيه كانت تقام الصلاة جماعة حيث يؤمهم بنفسه ويعلمهم أمور دينهم، كما اتخذه أيضا (المسجد) مقرا لحكمه، بحيث كان يصدر

قراراته السياسية بالتشاور مع أصحابه من هناك، وفي بعض الأحيان يصدرها بناء على وحي رباني، كما حدث مع إعلان الجهاد ضد كفار قريش بحيث تلقى أمرا من الله عز وجل ليبدأ بالحرب نصرة للدين امتثالا لقوله تعالى: ((**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**))[1] ، وبذلك أصبح للمسجد دورين هامين هما الدور الديني الذي المتعلق بأمور العبادة والدور السياسي كونه مقر الحكم ومكان إصدار القرارات السياسية.

ب- الأسس الاجتماعية:

عمل الرسول (ص) منذ أن انتقل إلى المدينة المنورة على تنظيم المجتمع المسلم اجتماعيا وذل بالقضاء على بعض العادات السيئة، وابتدأ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كما قام أيضا بالمؤاخاة بين الأوس والخزرج، وهما القبيلتان العربيتان المتعاديتان منذ وقت طويل، وكان ذلك بحثهما على ترك العصبية المقيتة.

هذا وقام الرسول (ص) أيضا بتنظيم العلاقات العامة للمجتمع الإسلامي بغيره من المجتمعات وخاصة اليهود الذين كانوا على كثرة هناك، فوضع صحيفة تتضمن مجموعة من القوانين هي بمثابة دستور يلتزم به كل الأطراف حتى تنتظم علاقاتهم ولا يتجاوز أي طرف الآخر.

ومن الأسس التي اعتمدها الرسول في بناء دولته أيضا هو اعتماد الجهاد الإسلامي ضد الكفار كوسيلة للدفاع عن دولته الناشئة ونشر الدين الإسلامي نزولا عند الأمر الرباني بذلك، وكان لهذا الأساس أثره الواضح في اتساع رقعة الدولة الإسلامية من شبه جزيرة العرب إلى أقاصي البلاد.

ت- الأسس الاقتصادية:

عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على تنظيم دولته من الناحية الاقتصادية، امتثالا للأوامر الربانية، فكان مما ركز عليه في جانب التعاملات المالية أن حرم الربا لقوله تعالى: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا))[2]، وقد كانت هذه الظاهرة متفشية بكثرة في الأسواق العربية، رغم ضررها الكبير، فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التعامل بالربا كحماية للمسلمين، كما عمل الرسول صلى الله عليه وسلم

[1] سورة الحج، الآية 39

[2] سورة البقرة، الآية 275.

كذلك على تنظيم الأسواق من خلال تفقدها بشكل دائم، فعمل من خلال ذلك على محاربة كل أنواع البيوع الفاسدة التي كانت منتشرة آنذاك، مثل بيع الغرر والنجش والتدليس والاحتكار، وقد كان لهذه القواعد التي أقرها الرسول صلى الله عليه وسلم كبير الأثر في تنظيم المجتمع من الناحية الاقتصادية، فاستقرت الأوضاع وعم العدل والرخاء بين عامة أفراد المجتمع.

كانت هذه بعض الأسس التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم كدعامات لبناء دولته، حيث بفضلها استقرت دولته، وتطورت بعد ذلك حتى بلغت الآفاق في وقت وجيز.

02- فتح مكة

بعد أن نظم الرسول صلى الله عليه وسلم دولته وقضى على مناوئيه في منطقة الحجاز، بقي له تحرير البيت الحرام من الوثنية، وهو آخر عمل عسكري يقوم به الرسول في حياته، غير أنه لم يتحرك إليها لأنه في هدنة مع كفار قريش تقتضي ألا يدخل معهم في حرب عشرة أعوام، غير أن قبيلةَ قريشٍ انتهكت هذه الهدنةَ، بحيث أعانت حلفاءها من بن بكرٍ بن عبد مناةٍ بن كنانة في الإغارة على قبيلة خزاعة، الذين هم حلفاءُ المسلمين، فنقضت بذلك عهدَها مع المسلمين الذي سمّي بصلح الحديبية.

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم على إثر ذلك باتجاه مكة على رأس جيش قوامه عشرة آلاف جندي، وهو أكبر جيش اجتمع للعرب في ذلك الزمان وقبله، ووصلها في 20 رمضان 08هـ/630م، ولم تشعر به قريش إلا وهو على أبوابها فلم يواجهوه وافتتحت مكة سلما، إلا ما كان من بعض كفار قريش الذين تجمعوا تحت إمرة عكرمة بن أبي جهل حيث حاولوا اعتراض جيش المسلمين من جه خالد بن الوليد إلا أنهم انهزموا أمامه، وقتل منهم 12 رجلا، وفر الباقون، وانتهت هذه الغزوة بفتح مكة وضمها إلى دولة الإسلام بعد أن عاشت دهورا تحت زيغ الوثنية.

ولما استقر الأمر بمكة بعد فتحها نزل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة وطاف بها، ثم أمر بلالا أن يعلو سطحها ويؤذن للصلاة، وأمر بعدها بتدمير كل الأصنام، فكان يضربها بقوس له ويقول: ((جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا))[1]، و ((قل جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ))[2].

---

[1] سورة الإسراء، الآية 81.

[2] سورة سبأ، الآية 41.

انتهى فتح مكة بنتائج جد إيجابية لصالح دولة الإسلام، حيث توحدت معظم أرض الحجاز تحت سلطان الإسلام، كما أن دخول مكة في دولة الإسلام له إيجابية كبيرة لقيمتها الروحية عند عامة العرب، وفضلها كبير عند الله عز وجل، ومن إيجابيات فتح مكة أيضا اعتناق عدد كبير من الكفار الدين الإسلامي ومنهم شخصيات كبيرة مثل سيد قريش وكنانة أبو سفيان بن حرب، وزوجتُه هند بنت عتبة، وكذلك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وأبو قحافة والد أبي بكر الصديق، وغيرُهم.

03- حجة الوداع

في أواخر سنة (10هـ/632م) عزم الرسول (ص) على الحج فخرج من المدينة في 25 شهر ذي القعدة، ووصل مكة في الرابع من ذي الحجة، وأدى مناسك الحج وفي اليوم العاشر من ذي الحجة الموافق ليوم عرفة، وخطب في الناس خطبة الوداع، حيث أومأ لهم كأنه لن يعيش بينهم بعد عامه ذاك، وأنه سيلقى ربه عن قريب، وأشهدهم في الأخير على تأديته للرسالة، فشهدوا على ذلك.

04- وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

بعد ثلاثة أشهر من حجة الوداع أصيب الرسول (ص) بحمى شديدة أثرت عليه حتى لم يعد بإمكانه القيام لإمامة الناس فأمر أبا بكر الصديق بإمامتهم، إلى أن وافاه أجله يوم الاثنين 12 ربيع الأول 11هـ/633م، وبوفاته بدأ عصر جديد في دولة الإسلام إذ استندت قيادتها إلى أبي بكر وهو أول خليفة للمسلمين.

محاضرة رقم 05

عنوان المحاضرة: الخلافة الراشدة

تمهيد:

توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفصل في أمر من يخلفه على رئاسة المسلمين، لكنه أشار إلى أبي بكر بإمامة الناس في الصلاة، ورأى مجموعة من الصحابة أن تعيين هذا الأخير لإمامة المسلمين هو بمثابة التعيين غير المباشر للخلافة، فرضوا بذلك وبايعوه بالخلافة، ومنذ ذلك التاريخ بدأ عهد الخلافة الراشدة.

01- خلافة أبي بكر الصديق:

أ- تعريفه:

وهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، ولد بعد عام الفيل بثلاث سنوات (573م)، هو صاحب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أسلم مع الأوائل مباشرة، وظل ملازما للرسول طول حياته، لقب بالصديق لأنه صدق بإسراء الرسول ومعراجه دون أن يسمع منه، حيث قيل له أن صاحبك (الرسول صلى الله عليه وسلم) يزعم أنه قد أسري به إلى المسجد الأقصى ومن ثم عرج به إلى السماء السابعة ثم عاد إلى فراشه، فقال أبو بكر إن كان قد قالها الرسول فقد صدق، فلقب نتيجة ذلك بالصديق.

ب- مبايعته بالخلافة:

ما إن توفي الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة[1]، وطالبوا بالخلافة وجعلوا عليهم نقيبهم سعد بن عبادة وهو كبيرهم يومئذ، وكانوا يرون أنفسهم أحق بالخلافة كونهم من ناصروا الرسول، وقالوا بأن دولة الإسلام قامت على أكتافهم، ولما سمع المهاجرون بهذا الاجتماع، قالوا بأنهم هم الأحق بالخلافة، لأن لهم سابقة بالدين وهم أول من تحمل عبء الدعوة من أولها.

فلما بلغ الأمر عمر بن الخطاب، أرسل إلى أبي بكر يحثه على القدوم وكان منشغلا بتجهيز جثمان الرسول صلى الله عليه وسلم للدفن، فلما خرج إليه أعلمه بأمر اجتماع الأنصار، فذهبا إلى السقيفة وهناك دار جدال عن أحقية كل طرف بالخلافة لفضله في الدين حسب رأيه، لكن الأمر استقر في الأخير على أبي بكر مستدلين على ذلك بتفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم له في إمامة الناس في الصلاة بعد أن عجز هو عن

[1] سقيفة بني ساعدة: هي مكان بالمدينة يجتمع به بنو ساعدة، وبنو ساعدة هم حي من الأنصار يقال لهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج... أنظر محمد رضا، أبو بكر الصديق، تح، أحمد عوض أبو الشباب، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1425هـ/2005م، ص 30.

إمامتهم، فرأوا بأن هذا بمثابة تقرير من الرسول في فضل أبي بكر على عامة الناس، فأقروه خليفة للمسلمين، وكان ذلك يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 12 ربيع الأول سنة 11هـ/632 م.

ت- أعمال أبي بكر أثناء خلافته:

- **تجهيز الرسول صلى الله عليه وسلم للدفن:**

أول ما قام به بعد المبايعة هو تجهيز الرسول صلى الله عليه وسلم للدفن، حيث تم تغسيله وتكفينه، ثم حفر له قبره في بيته، وصلى عليه الناس فرادى لم يجتمعوا تحت إمام.

- **إرسال جيش أسامة:**

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر أسامة بن زيد بالتجهز على رأس جيش ليسير به إلى حدود الشام شمالا لتأديب الروم على قتلهم للمسلمين في غزوة مؤته، غير أن هذا الجيش توقف بعد مرض الرسول صلى الله عليه وسلم، وظل على حاله تلك، إلى أن توفي الرسول، فلما استخلف أبو بكر الصديق، أمر أسامة بن زيد أن يسير إلى مهمته التي أقره عليها رسول الله قبل موته، وكان قد تلقى انتقادات من كبار الصحابة منهم عمر بن الخطاب، حيث رأوا بأن خروج الجيش لتأديب الروم في ظل ارتداد القبائل العربية هو خطأ عسكري، غير أن أبا بكر أصر على إنفاذ الجيش إلى مهمته وكان قد أصاب في ذلك، فخرج أسامة يوم الأربعاء 14 ربيع الأول 11هـ/632م، واستطاع ان يؤدي مهمته على أكمل وجه وعاد إلى المدينة بعد أربعين.

- **محاربة المرتدين:**

ارتدت العديد من القبائل العربية عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، واتخذ بعضهم من عدم دفع الزكاة لأبي بكر الصديق كذريعة لعدم قبول خلافته، ومنهم من ادعى النبوة فهو بذلك في حكم المرتد كذلك، وعلى الرغم من ضعف الدولة الإسلامية بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن أبو بكر قرر مواجهة هؤلاء المرتدين فعقد لأجل ذلك الألوية وعددها 11 لواءً وهي:

1- **خالد بن الوليد:** سار إلى طليحة الأسدي المتنبئ، فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة بالبُطاح إن قام له.

2- **عكرمة بن أبي جهل**: إلى مسيلمة الكذاب المتنبئ.

3- **المهاجر بن ابي أمية**: إلى جنود الأسود العنسي المتنبئ، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت.

4- **خالد بن سعيد**: إلى مشارف الشام.

5- **عمرو بن العاص**: إلى قُضاعة ووديعة.

6- **حذيفة بن محصن الغلفاني**: إلى أهل دبا.

7- **عرفجة بن هرثمة**: إلى مَهَرة.

8- **شرحبيل بن حسنة**: يساعد عكرمة بن أبي جهل فإذا فرغ من اليمامة التحق بقُضاعة.

9- **معن بن حاجز**: إلى بني سليم ومن معهم من هوازِن.

10- **سويد بن مقرّن**: إلى تهامة باليمن.

11- **العلاء بن الحضرمي**: إلى البحرين.

هؤلاء هم قادة الجيوش الإسلامية الذين أرسلهم أبو بكر لمواجهة المرتدين، وقد نجحوا كلهم في مهامهم، إلا الجيش الذي أرسل إلى اليمامة لمواجهة مسيلمة الكذاب فإنه استعصى عليه الأمر إلى أن ساندهم خالد بن الوليد وتمكن من القضاء على مسيلمة الكذاب بعد معركة دامية استشهد فيها العديد من المسلمين وخاصة حفظة كتاب الله.

- **فتوحاته:**

بعد أن انتهى أبو بكر الصديق من المرتدين، وجه نظره للفتوحات الإسلامية، فأرسل الجيوش شرقا إلى العراق وأرض فارس وشمالا إلى بلاد الشام، وكان قد عقد لخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة على الجيش الموجه للعراق، حيث تمكنا من فتح بعض المدن منها **كاظمة** التي جرت بها أشهر المعارك بين المسلمين والفرس وهي معركة **ذات السلاسل**[1]، **والحيرة، والأنبار وعين التمر** كل ذلك سنة 12هـ/633م.

[1] ذات السلاسل: هي معركة جرت بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وقوات الفرس بقيادة هرمز سنة 12هـ/633م، في مدينة كاظمة وهي مدينة في الكويت حاليا، وكان هرمز قد أمر بربط جنوده بعضهم البعض بالسلاسل حتى لا يفروا من أرض المعركة، غير أن هذه الخطة كانت وبالا عليه حيث عرقلت السلاسل حركة جنده وسهل على المسلمين هزيمتهم والقضاء على أغلبهم.

وفي بلاد الشام تمكن المسلمون من فتح عدة مناطق منها **دومة الجندل** وهي في الجزء الجنوبي من بلاد الشام سنة 12هـ/633م، ثم جرت بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وجيوش الروم المتحدة مع الفرس وبعض العرب من بلاد الشام معركة كبيرة في مكان يقال له **الفِراض**، وهي أرض بين العراق والشام شهر ذي القعدة 12هـ/634م، انتصر فيها المسلمون وقتلوا خلقا كثيرا من جيش العدو، وقد مهدت هذه المعركة لفتح ما تبقى من بلاد الشام، فافتتحت مدن **تَدْمُر وقُصُمْ ومرج راهط وبُصرى** ومدن أخرى وانتهى الفتح في بلاد الشام بفتح **اليرموك** وهو أعظم فتح للمسلمين يومئذ، وكان أبو بكر قد توفي يوم 22 جمادى الآخرة 13هـ/634م والمسلمون محاصرين لها، ولذلك اعتبر فتحها في عهد أبي بكر.

02- وخلافة عمر بن الخطاب:

أ- تعريفه:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رِزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي ويكنى أبو حفص، ولد بعد عام الفيل بعشرة أعوام 580م كان من أشد المعارضين للرسول صلى الله عليه وسلم في بداية البعثة، ثم شرح الله صدره للإسلام فأسلم في السنة السادسة للبعثة، لقب بالفاروق لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه: ((إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل)).

كان عمر بن الخطاب مقربا من الرسول صلى الله عليه وسلم فشارك معه في كل غزواته، وكان يستشيره مع أبي بكر في كل ما يهم الأمة، ثم أصبح مصاحبا لأبي بكر الصديق في فترة خلافته، وكان بمثابة وزيره لا يفارقه في كل ما يتعلق بأمور الدولة، ولما احتضر أبو بكر الصديق أوصى بالخلافة له، فكان نعم الاختيار من أبي بكر.

ب- مبايعته بالخلافة:

بويع عمر بن الخطاب بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق في 22 جمادى الآخرة سنة 13هـ/634م، وأول ما قام به بعد توليه الخلافة هو إطلاق اسم أمير المؤمنين على نفسه، وهو لقب جديد أصبح يطلق على كل من يتولى الخلافة من المسلمين.

ت- أهم أعماله:

- **استحداث التقويم الهجري:**

لم يكن للمسلمين تقويم واضح يعتمدونه في تاريخهم أو في تدويناتهم، فكانزا يكتبون أحيانا بتاريخ البعثة وأحيانا بالتاريخ الميلادي، وبعضهم يكتب بتواريخ أخرى، ولما توسعت الفتوحات في عهد الخليفة عمر كثرت المراسلات واختلفت معها التواريخ، فاقترح الصحابة أن يجعلوا للمسلمين تقويما يختصون به تتوحد به كل الكتابات، واقترحوا مجموعة من الاقتراحات، استقر الأمر على تاريخ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة سنة 622م أن يكون بداية للتقويم الإسلامي، وكان في ذلك الوقت قد مر عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم 16 سنة، وهي السنة الثالثة في خلافة عمر بن الخطاب.

- **جمع الناس لصلاة التراويح:**

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج في بعض أيامه لصلاة التراويح فاجتمع حوله الناس فخشي أن يعتقد المسلمون أنها فرض، فتركها ولم يخرج لها فتركت بعدها هذه الصلاة طيلة ما تبقى من حياته صلى الله عليه وسلم، وطيلة حكم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، غير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعادها وجعلها جماعة، وقد لاقى استحسان الصحابة، ومنذ ذلك التاريخ هي سنة يلتزم بها غالبية المسلمين إلى الساعة.

- **تدوين الدواوين**

يقصد بها السجلات، استحدثها عمر بن الخطاب في عهده، بعد أن صعب عليه أمر إحصاء مداخيل الدولة ونفقاتها، وكذلك وضعيات الجيوش الإسلامية، إذ كان عليه أن يعرف عدد الجنود ونوعية تسليحهم وفترة خدمتهم، ومرتباتهم، وكان لا بد أن يسجل كل ذلك حتى لا تضيع حقوق الرعية، فارتأى أن يجعل سجلات توضع فيها كل ما يتعلق بأمور الدولة، وكان ذلك سنة 20هـ/641م.

- **فتوحاته:**

استمر عمر بن الخطاب على سياسة أسلافه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق في نشر الإسلام في كل مكان يستطيعون الوصول إليه وهو ما يعرف بالفتوحات الإسلامية، وقد ذكرت لنا كتب التاريخ أن عهده كان حافلا بالفتوحات نذكر منها:

المدينة	تاريخ الفتح	القائد الفاتح
- دمشق	- شهر رجب 14هـ/635 م	- أبو عبيدة بن الجراح
- القادسية	- 13 شعبان 15هـ/636م	- سعد بن أبي وقاص
- المدائن	- شهر صفر 16هـ/637م	- سعد بن أبي وقاص
- تكريت والموصل	- جمادى الآخرة 16هـ/638م	- سعد بن أبي وقاص
- الجزيرة	- سنة 17هـ/638م	- عياض بن غنم
- أرمينية	- سنة 17هـ/638م	- عثمان بن أبي العاص
- أنطاكية	- سنة 17هـ/638م	- أبو عبيدة بن الجراح
- قيسارية	- سنة 17هـ/638م	- معاوية بن أبي سفيان
- بيت المقدس	- سنة 16هـ/637م	- أبو عبيدة بن الجراح
- حلب	- سنة 16هـ/638م	- أبو عبيدة بن الجراح
- مصر	- سنة 20هـ/641م	- عمرو بن العاص
- أصبهان	- سنة 21هـ/642م	- عبد الله بن عبد الله بن عتبان
- أذربيجان	- سنة 22هـ/643م	- عتبة بن فرقد

كانت هذه بعض من أعمال عمر بن الخطاب الكثيرة، ولا يسعنا أن نحصيها كلها، ففي عهده ارتقت دولة الإسلام إلى ريادة العالم وتوسعت رقعتها لتصل شرقا إلى ما يقرب من بلاد السند وغربا إلى حدود إفريقية، وقد

ولّدت هذه الانتصارات الكثيرة حقدا من بعض أعداء الدين من المجوس، فحرضوا أحد مواليهم المدعو أبو لؤلؤة المجوسي، وقد كان يخدم المغيرة بن شعبة، حيث قام بطعن عمر بن الخطاب بخنجر مسموم انتهى بقتله يوم 24 ذي الحجة سنة 23هـ/644م، وقبل موته أوصى باجتماع لجنة الشورى لاختيار من يخلفه، فوقع اختيارهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه.

03- خلافة عثمان بن عفان

أ- تعريفه:

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ولد بالطائف بعد عام الفيل بست سنين (576م)، يلقب بذي النورين لأنه تزوج ببنتي الرسول صلى الله عليه وسلم وهما رقية وأم كلثوم، أسلم في بداية الدعوة بدعوة من أبي بكر الصديق، وقد اشتهر بحيائه وحلمه وكثرة صدقاته، من المبشرين بالجنة، وقد بشره كذلك بالشهادة.

ب- مبايعته بالخلافة:

عندما طعن عمر بن الخطاب وأدرك أنه ميت، دعا كبار الصحابة وهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، ومعه ابنه عبد الله، وكان قد جعل الخلافة في الستة الأوائل، بينما يكون ابنه من أهل الشورى فقط ولا حق له فيها، وبعد مشاورات بينهم استقر الأمر على ترشيح عثمان بن عفان ليكون خليفة المسلمين بعد عمر، فبايعوه على السمع والطاعة ولم يكن بينهم معارض أو مخالف لذلك.

ت- أهم أعماله في فترة خلافته:

استهل عثمان بن عفان خلافته بمواصلة سياسة الفتوحات التي نهجها أسلافه وفي عهده دخلت كثير من الأقاليم في الإسلام، منها ما كان على الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ثم ارتد كأرمينيا وأذربيجان، حيث أعادهما عثمان بن عفان إلى الإسلام بعد ردتهما، كما نقضت كذلك الإسكندرية الصلح الذي كان مع المسلمين من قبل.

وفي عهده فتحت أجزاء من إفريقية، حيث جرت على إثرها أشهر معارك المسلمين في التاريخ وهي معركة سبيطلة[1]، بين جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وجيش الروم بقيادة جرجير، وعلى الرغم من طول مدة هذه المعركة والتي فاقت 15 شهرا إلا أنها انتهت بانتصار المسلمين بأقل خسائر، مقابل تدمير الجيش البيزنطي ومقتل قائده وأسر ابنته، وكان ذلك سنة 27هـ/648م.

وفي عهده كذلك فتحت كل من قبرص سنة 28هـ/649م على يد معاوية بن أبي سفيان، وجرت معركة ذات الصواري وهي أشهر معركة بحرية للمسلمين، حدثت سنة 31هـ/652م بالإسكندرية انتصر فيها المسلمون بقيادة عبد بن سعد بن أبي سرح على الروم انتصارا ساحقا.

وفي عهده أيضا فتحت كل من اصطخر سنة 29هـ/650م، وخراسان سنة 31هـ/652م، وكرمان وسجستان وكابل، ثم توقفت الفتوحات بعد بدء الفتنة عليه، حيث ظهر مجموعة من الغوغاء حرضهم عبد الله بن سبأ المدعو ابن السوداء، يطعنون في نزاهة عثمان، إذ اتهموه بسوء التسيير، وأنه يحابي أهله على باقي المسلمين، وأنه يستغل أموال بيت المال في خدمة مصالحه، وعلى الرغم من تبرئة نفسه أمامهم بالأدلة القاطعة إلا أنهم استمروا في الفتنة والتحريض عليه، وانتهوا بقتله يوم 08 ذي الحجة سنة 35هـ/656م، وخلفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

04- خلافة علي بن أبي طالب

أ- تعريفه

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد سنة 600 م بمكة، أسلم وهو صغير بعد أن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فسأله عن ذلك ولم يكن يألف هذا المنظر، فأخبره الرسول بالخبر واستأمنه على حفظ سر هذا الأمر، فكان ذلك، ودخل الإسلام على إثرها رغم صغر سنه لأنه كان قريبا من الرسول ويقلده دائما، وكان في عمر العشر سنين عندما أسلم.

عاش ملازما للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تزوج ابنته فاطمة وخلّف منها الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، ولما توفيت تزوج تسع زوجات أخريات خلَّفن له 29 ابنا بين ذكر وأنثى، شهد

[1] مدينة في ليبيا حاليا، جرت بها هذه المعركة والتي تسمى بحملة العبادلة، نسبة إلى اسم عبد الله الذي تكرر بها كثيرا، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص...

المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وله صولات مشهورة في حروبه ضد الكفار، كما تولى مهام القضاء لغزارة علمه، تولى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة 35هـ/656م.

ب- مبايعته بالخلافة:

كان لمقتل الخليفة عثمان بن عفان كبير الأثر على المسلمين، حيث عمت الفتنة في أرجاء المدينة، ارتأى عندها عدد من الصحابة أن يبايعوا خليفة قبل يتفاقم الوضع وكان ابن عباس قد ألح في اختيار علي بن أبي طالب رغم تحفظه، فلما بادره صحابة آخرون بالأمر قبل الأمر على أن يكون في المسجد، فتمت المبايعة في يوم 25 ذي الحجة سنة 35هـ/656م، وبذلك أصبح رابع خليفة للمسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

اشتغل علي بن أبي طالب خلال فترة حكمه بتوطيد الحكم والقضاء على الفتن، ونتيجة لذلك حدثت عدة حروب بينه وبين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان بن عفان، وأشهرها هي موقعة الجمل التي جرت بين جيش علي وجيش عائشة رضي الله عنها يوم الخميس 10 جمادى الآخرة سنة 36هـ/657م، وانتهت بمقتل أكثر من ألف مسلم من الطرفين بالخطأ.

كما جرت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان معركة كبيرة سميت معركة صفين شهر صفر سنة 37هـ/658م، انتهت هي الأخرى بمقتل الكثير من المسلمين، ثم اهتدى الطرفان إلى التحكيم وتوقيف القتال، وظل الوضع بين الطرفين على نفس الحال إلى أن قتل علي بن أبي طالب في 17 رمضان سنة 40هـ/661م على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي، فآلت الخلافة إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، لكن هذا الأخير رفض أن يدخل في صراع مع معاوية، فتنازل عن الخلافة لمعاوية في منتصف جمادى الأولى سنة 41هـ/662م، وسمي ذلك العام بعام الجماعة، ومنذ ذلك التاريخ بدأ عهد الدولة الأموية وانتهت الخلافة الراشدة.

أهم مصادر الموضوع:

- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ.

- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم
- ابن كثير إسماعيل: البداية والنهاية
- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
- ابن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل
- الصفدي: الوافي بالوفيات
- ابن حوقل النصيبي أبو القاسم: صورة الأرض.
- ابن خلدون عبد الرحمن: ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
- ابن عبد الملك المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي.
- أبو الفدا: التبر المسبوك في تواريخ الملوك.
- أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر.
- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ومشاهير الوفيات الأعيان.
- الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء.
- ياقوت الحموي ، معجم البلدان.
- ياقوت الحموي: المشترك وضعا والمفترق صقعا.
- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر
- ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك.

المراجع

- محمود شاكر: تاريخ الإسلام
- أحمد أمين: فجر الإسلام
- محمد رضا: محمد صلى الله عليه وسلم --- أبو بكر الصديق --- عمر بن الخطاب --- عثمان بن عفان--- علي بن أبي طالب --- الحسن والحسين.

- كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية
- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية.